المجلس الرابع

القصيـدة:

إن رمت خير حمى وخير مقيل.

الموضوع:

المرأة الطالحة والمرأة الصالحة.

المصيبـة:

شهادة مسلم بن عقيل وابنته حميده.

صـــــلى الله عليـــــك يـــــا رســـــول الله وعلـــــــى آلـــــــك المظلـــــــومين
صلى الله عليك يا يا سيدي ومولاي أبا عبد الله وعلـى ابـن عمـك مسـلم بـن عقيـل
لعـــــــن الله الظـــــــالمين لكـــــــم يا ليتنا كنا معكم سيدي فنفوز والله فوزا

إن رمـــتَ خيـــرَ حمـــىً وخيرَمقيـــلِ فاعقِـــل بمثـــوى مســـلمِ بـــن عقيـــل
مثـــوىً تعـــالى الله أعلـــى شـــأنَهُ مـــن أن يُـــرامَ موازَنـــاً بعـــديل
أبكـــي علـــى ذاك القتيـــل ومـــن بكـــت عـــين الحســـين لـــه فـــأي قتيـــل
مثـــوىً تضـــمّن للشـــهادةِ ســـيّداً فـــاق الـــورى بالفضـــلِ والتفضـــيل
وقـــل: الســـلام عليـــك أســـلم مســـلم فـــرداً لطعـــن قنـــاً وقـــرع نصـــول
أردوه بـــالبيضِ الصـــفاحِ وأثخنـــوهُ بـــالجراحِ فخـــرَّ خيـــرَ جـــديل
صـــعدوا بـــه قصـــر الأمـــارة نـــازلاً لـــلأرض حـــين رمـــوه أيُّ نـــزول
ســـحبوه فـــي الأســـواق وهـــو مرمـــل بـــدم الشـــهادة أفضـــل الترميـــل
فليبكـــين المســـلمون لمســـلم مـــا كـــان أمـــثلهم لـــه بمثيـــل
قتلـــوه ظمآنـــاً وقـــد صـــنعوابه مـــا لـــيس يصـــنعُ قاتـــلٌ بقتيـــل

(نعـــي):

مصـيبتهم مصـيبة اتصـدع الأجيـال ومـــن قبـــل الشـــيب اتشـــيب الأطفـــال
ويلـي شـفت ميـت يجرونـه بالحبـال ينـــاعي لا تظـــن صـــاير مثلهـــا

(أبوذيّة):

آه عـــادَة ليســـتجيرْ ايكـــون ينجـــارْ وعـــن قتلـــه حليـــف الشـــرفْ ينجـــارْ
مثِـل مسـلِم صـدق بِـالحبـلِ ينجـارْ وتتباشـــر بقتلـــه جنـــود أُميّـــة

لا حول ولا قوة إلا بالله إنا وإنا إليه راجعون

قال تعالى في كتابه العزيز، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [1] ﴾.

إنَّ القرآنَ الكريم مُقسَّم لإحكامٍ شرعية ولقصصٍ وفوائد علمية، ولأمثالٍ قرآنية الهدف منها التوعية والتربية الإيمانية، واستخلاصِ العِبر والدُروسِ من خلالِها، و من هذه الأمثال الآيتان الكريمتان في بداية حديثنا; حيث الكلام في الآية الأولى عن زوجة السوء والمرأة الطالحة بشكل عام، وعن زوجتَي النبي نوح والنبي لوط(ع) بشكل خاص.

فالمرأة التي تَبتعدُ عن الله فإنَّها تَقتربُ من الشيطانِ، وبالتالي تَكونُ عاصية لأمرِ الله، بعيدةً عن الإيمانِ، وغير ملتزمة بقولِ الرحمنِ، وهي في طريق الذنوب والمعاصي ظالمة لنفسها ولغيرها، وكذا حال زوجة السوء التي تَدعو زوجها وتُربّي أولادها على الكفرِ بدل الإيمان، وعلى المعاصي بدل الطاعات، وهي تَرتكبُ الذنوبَ بتركِ حجابِها وصلاتِها وصيامِها وحجِّها وأمر أولادها بذلك، وتُلوّثُ نفسَها وبيتَها بالغناءِ في البيتِ وتَطردُ الملائكة منه، وبالغيبة بذكرِ الناس، والنَّميمة بنقلِ أخبار الناس وتحريضهم على بعضهم ، وبالبهتان بقولِ الباطل عن

[1] التحريم: ١٠-١١

الناس، وبشربِها المنكرات ودعوة زوجها معها، وبالدعوة للفسادِ والإفسادِ سواء بلُبسِها وبشعرِها السافر، وعيشها غير الملتزم ولو بفعلِ الحرام، وتزيُّنِها لغيرِ زوجِها، وسماعِها للغناءِ، ومشاهدتِها للمسلسلاتِ التي تدعو للفسقِ والفجورِ، وصرفها التبذيري من دون مراعاة حال زوجها، ولتربيتِها السيِّئةِ على الحرامِ والسرقةِ وجلبِ الأموال الحرامِ، وبنفس الوقت تَصدُّ زوجَها وأولادَها عن الإيمانِ باللهِ وذكرِهِ وعبادتِه وطاعتِه والجهاد في سبيله، قالَ رسولُ الله (ص): "أغلب أعداء المؤمنين زوجة السوء".

فالمرأة السيئة الطالحة تكونُ قدوة في السوءِ والفسادِ والآمر بالسوءِ والشرِّ قالَ رسولُ الله (ص): "شرُّ الأشياء المرأة السوء". لذا دعا واستعاذ (ص): "أعوذ بِكَ من إمرأةٍ تُشيبني قبل مشيبي." وأمَّا ما وردَ في الآيةِ الكريمةِ من مثال:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخلين). فالقرآن يُبيّنُ لنا أنَّ مهما كانت العلاقة بين الزوج والزوجة ولو بلغت أعلى مستوياتها في الدنيا لم تشفع لأحدهما، ولا تعطي الحصانة لمن كان مُذنباً أو كافراً. وأمَّا زوجة النبي نوح والنبي لوط فخانتاهما،و ليس المراد من الخيانة الزوجية أبدا إنما خيانة الدعوة; أي زوجها نبي كريم، معه دعوة من خالق السماوات والأرض، الزوجة لم تؤمن بهذه الدعوة، ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ خيانة دعوة لا خيانة فراش، ومع أنها زوجته، ومع أنها أقرب الناس إليه، ومع أن العلاقةَ بين الزوجين حميمة، ولأن العلاقة بين الزوجين إندماجية، ومع كل ذلك فلم يغنيا

عنهما من الله شيئاً، لذا إنَّما يُريدُ الله عزَّوجَل أن يقولَ لنا لا أنسابنا ولا قربنا ولا صلتنا حتى في الأنبياء تفيدنا يوم القيامة والحساب، أو تعطينا الحصانة من العقابِ ودخولِ النارِ، إنَّما إيمانُنا وعملُنا الصالح، لذا قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، فهذا هو الميزانُ وكل ما سعينا له في الدنيا وزرعناه سنحصده وحده في الآخرة بعيداً عن أيّ علاقة آخرى وحتى لو كنتِ يا أختي زوجة مرجعٍ أو زعيمٍ، فقال تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى}.

وبذلك بيَّنَ اللهُ عزَّوجل لنا من خلالِ زوجة النبي نوح والنبي لوط أنهما بسبب أعمالهما السيّئة وعدم إيمانهما وكفرهما لدعوة أزواجهما، دَخلا النار كما هو حال كل عاص ومُذنب، ولم يُغنِ عنهما بل كان زيادة في الحساب والحجة عليهما أنهما كانتا زوجتين لنبيين من أنبياء الله، فلا حصانة للمذنب عند الله عزَّوجَل.

وأمَّا عن المرأةِ الصالحةِ وزوجة فرعون، فالحديثُ مختلف، لأنّ المرأة الصالحة هي من تَدعو زوجها وأولادها إلى الإيمانِ، وتقرّبهم إلى ربهم بالطاعات، وبصدِّهم عن المُحرّمات، وتحثُّهم على الصلاةِ والصيامِ والحجّ وقراءة القرآنِ والدعاء وسائر العِبادات، وتُربّيهم على الصدقِ والأمانةِ، وتعوّدهم على ذكرِ اللهِ، وتؤدِّبُهم بالأخلاقِ الحسنةِ .والأهمّ أن المرأةَ الصالحةَ هي التي تتحمَّل حالة زوجها المادية ولا تَفرضُ عليه مصاريف، وتتطلَّبُ منه فوق مقدوره، بل تُساعدُه وتقفُ معه وتُعينُهُ على العيشِ بالحلالِ، وتُؤازِرُه في صعوبةِ الحياة وتُطيعُه بكلِّ ما فيه طاعة للهِ، وتصونه، ولكنها لا ترضى بأيّةِ مخالفة للدين، وخاصة إذا دعاها زوجها إلى

معصية الله عزَّوجَل من خلال خلع الحجابِ، أو سماعِ الغناءِ أو تركِ الصلاةِ، أو الصيامِ، والإستخفافِ باللباس، والتبرّج، وأكلِ الحرام، وماشابه ذلك، فالمرأة الصالحة لا تستخفُّ بدينها مهما كان لها من علاقة مع زوجها أو أبيها أو أي أحد.

فأيّة إمرأة تقولُ: هكذا يُريدُ زوجي، خلع الحجاب مثلاً، الذنب ذنبه، أنا ليس لي علاقة، هذه الحُجة مرفوضة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أنا لا أتكلمُ من فراغٍ، أتكلمُ من أن عدداً كبيراً جداً من النساء المسلمات قد يرتكِبنَّ بعض الأخطاءِ الكبيرةِ بتعليلِ أن الزوجَ أراد ذلك، وبالتعبيرِ الدارِج إن شاء الله في رقبته، أنا لا علاقة لي ولا أتحمَّلَ المسؤولية أمام الله. نقولُ لها لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، و لكن عندما تَخضعُ المرأةُ لطلب زوجها الذي فيه سخطٌ ومعصية إنتهت عند الله عزَّوجَل، حتى الزوج عندما يَخضعُ لزوجتِه إنتهى عند الله عزَّوجل، لا الزوجة ينبغي أن تلتزمَ لأمرٍ ظالمٍ من زوجها، يدفعها إلى المعصية، ولا الزوجُ ينبغي أن يخضعَ لزوجتِه، بأن تَحمله على المعصية، والدليلُ الآية الثانية: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ [1] ﴾.

فامرأة فرعون كانت تحت أكفر كُفّار الأرض، تَعيشُ معه في فراشٍ واحدٍ، ومع ذلك لها عند الله مكافأة، لا علاقة لهذه المكافأة بأنها زوجة فرعون، بل لأنه لم يَستطعْ بجبروتِه وقوتِه أن يَحملها على الكُفرِ، أو على أن تُؤمنَ به كإله:

---

[1] سورة التحريم: ١١

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [1] ﴾.

وفي ثورة الإمام الحسين (ع) نَتذكَّرُ إمرأة وقفت وقفة الأبطال في ظُروفِ تَقاعسَ فيها الرجال، وإن التاريخَ الاسلامي يطالعنا في صفحاتِه المُشرقة عن المواقفِ النورانية، والصور الرائعة في التضحية والإيثار والشجاعة والحمية، ففي أصعب الظروف برزت هنالك نماذج رسالية تركت بصماتها مخلدة في جبين التاريخ والإنسانية، وقد جسدت إمرأة في التاريخ بمواقِفِها الجِهادِية نوعاً من النماذجِ عندما وقفت وقفة الأبطال في ظروف تقاعس فيها الرجال.. تلك المرأة هي طَوْعة وهي من المؤمِناتِ المُجاهِداتِ.

فقد آوت مُسلمَ بن عقيل سفير الإمام الحسين بن علي (ع) في بيتها بالكوفة، بينما كانت تُطاردَه السلطة وتريد إلقاء القبض عليه، وكانت تعلم أن أيّ تعاطف مع مسلم بن عقيل، لا يعني سوى اللعب بالنارِ وتعريض نفسها للسجن والإعدام، وكانت تعلم أيضاً أن كل الأبواب في الكوفة قد أُغْلقت في وجهِ أنصار الحسين (ع) ومبعوثه الخاص، ولكنها رغم ذلك آوت مسلم بن عقيل، ووفَّرت له الحماية والأمن بعيداً عن أعيُن السلطات، بعد أن كان حائراً مُتردّداً في أزقة الكوفة.. لا يدري إلى أين مأواه وملجؤه، وانتهى به المطاف إلى بيتها.. كانت واقفة عند باب دارها في انتظار قدوم إبنها.. فبادرها بالسلام.. فردَّت عليه

---

[1] سورة التحريم: ١١

السلام، إستسقاها فسقته، فجلس على الباب لا تطاوعه نفسه ان يبتدئها بطلب الإذن في الدخول للدار، فإلتفتت اليه قائلة: ألم تشرب؟ فسكت عنها اذ لم يكن له أهل ولا يعرف مَنْ يؤويه، ولكنها لم تقتنع بذلك لأنها إمرأة مصونة متأفِّفة من وقوف الأجنبي على بيتها، فقالت له: " إنّي لا أحلُّ لكَ الجلوس هنا ولا يُصلحُ لكَ" فعندها رقَّ ولان وقال: " أَمَةَ اللهِ مالي في هذا المكانِ منزل، ولا عشيرة فهل لكِ الى أجرٍ ومعروفٍ ولعلّي مُكافئتكِ به بعد هذا اليوم" إستفزتها هذه الكلمات الغالية، لأن الأجر من أعمال الصالحين، والمعروف لا يكافئ عليه إلاَّ أهله ،فقالت مستفهمة: وما ذاك؟ قال : أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم، وغرّوني، فلمّا سمِعت بإسمه شعرت بسعادة لا يتوفق لها إلاّ مَنْ أودع الله تعالى فيه نور الإيمان، فأعادت عليه السؤال عن إسمه متأكدة في الحصول على الغاية الثمينة وقالت له: أأنت مسلم؟ قال: نعم، (وامسلماه واسيّداه واغريباه).

(نعي):

ويلـــي يكِلهـــا وعينـــه مســـتديره ... لا أهـــل عنـــدي ولا عشـــيره
غريـــب وعمـــامي بغيـــر ديـــره ... ومثـــل حيرتـــي مـــا جـــرت حيـــره
أنـــا مســـلم الفاقـــد نصـــيره

فقالت: أنت مسلم إبن عقيل (أنت إبن عمّ الحسين) أُدخل سيّدي فداك أبي وأمّي...

(أبوذية):

أنــه مســلم وعنــدك ضــيف هالليــل	فرحــت طوعــة ومنهــا الــدمع هليــل
علــى الرحــب والســعه والوجــه هاليــل	فــداك أبــي وأمــي وكــل أهــل الوطيــه

فرحّبت به و امتلأ قلبها سروراً بضيافة داعية إبن رسول الله (ص)، وأدخلت طَوْعَه ضيفها العظيم في بيت غير البيت الذي كانت تأوي إليه، وجاءته بالضياء والطعام ولمَّا قَرُبَت الجيوش من دار طَوْعة عَلِم مسلمٌ أنها قد أتت لحربه، فسارع وتقلّد سيفه، وإلتفت إلى طَوْعه فشكرَها على حُسْنُ ضيافتِها، ولم تتركه طوعة عند هذا الحد بل كانت تُشجّعه وتُقوّي من عزيمتِه، حتى أنه كان من قوّتِه يَأخُذُ الرجلَ ويَرمي به فوق البيت.

حتّى حَفروا له حفرة فوقع فيها مُثْخَناً بجِراحاتِه، فتكاثروا عليه بين من يطعنَه برمحه وبين من يضربه بسيفه، حتّى أخذوه إلى عُبيْد الله بن زياد – آجركم الله - فجعل مسلم يَبكي، فقال له رجل: جِئتَ تَطلبُ أمراً عظيماً، وإنّ من يَطلبُ مِثلَ الذي تَطلِبُ لا يبكي، فقال: واللهِ ما لنفسي بَكيت، ولا لها من القتلِ أرثي، ولكن أبكي لأهلي المُقبلين، أبكي للحسين وآلِ الحسين.

فأمر بنُ زيادِ بقتلِه ورميِه من قصر الإمارة، فأرادَ أن يَشربَ فقدَّمَ أحدُهم قدحاً فيه ماءٌ ومعه كأس، فصبَّ فيه ليشربَ وأدناه من فمه، وإذا بالكأسِ يمتلئُ دماً، فرمى مسلمُ ذلك الماء، ثمّ صبَّ الماءَ ثانيةً ولم يَقدر أن يشربَ، ثمّ أرادَ أن يشربَ ثالثةً وإذا بثناياه سقطت في القدح..

فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزقِ المقسوم لشربته، (نعم واسى الحسين بشهادته، فأبى أن يموتَ إلاَّ ظمآناً كسيّد الشهداء).

ولمّا رأى مسلمٌ السيف مشهوراً إستمهلهم ليُصلّي، فصلّى ركعتين وقال: اللهمَّ أُحكم بيننا وبين قومٍ غرّونا وخذلونا وكذَّبونا، وتوجَّه نحو المدينة وصاح: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله.

(بحرانـي):

(آآه...)

صعدوا بمسلم والدمع يجري من العين ... توجه بوجهه للحجاز يخاطب حسين
يحسين أنا مقتول ردوا لا تجوني ... خانوا أهل كوفة بعد ما بايعوني
وللكافر ابن زياد كلهم سلموني ... مفرد وانتوا يا هلي عني بعيدين

النّاس قد اجتمعوا حول القصر، فمنهم من يقولُ يطالب بقتل مسلم، ومنهم من يطالب بسوقه إلى الشام، ومنهم من يطالب بحبسه حتّى يأتي الخبر من الشام - يا مؤمنون عظَّم الله لكم الأجر، وإذا بجثّة مسلم تهوي من أعلى قصر الإمارة بلا رأس، ثمّ يتبعها رأسه الشريف - رحم الله المنادي: وامسلماه واسيّداه ...

(ثمّ ربطوا رجله بالحبال، وكذلك فعلوا بهاني ابن عروة بعد أن قتلوه وجرّوهما في أزقة الكوفة وشوارعها).

(أبوذية):

دليلي لمسلم امن القهر ينذاب ... سفير احسين عنه فلا ينذب
من عالي القصر للأرض ينذب ... او يجرونه ابحبل فوق الوطيه

ساعَدَ اللهُ قلبَ أبي عبد الله، لمَّا بلغه خبر مقتل مسلم وهاني كم بكى، وبكى الهاشميّون معه! وكَثُرَصراخ النساء، وقال الحسين (ع): عند الله أحتسبك يا ابن العمْ يا مسلم، وأرادَ أن يعزّي ابنته حميدة أوّل يتيمة في نهضة الحسين (ع) وهي ابنة أخته رُقيّة، فدخلَ خيمة النساء ودعا زينبَ لتأتيه بحميدة بنت مسلم، فجعَلَ يُلاطفها وَيعطفُ عليها ويَمسحُ على رأسِها، فاستشعرت حميدة من ذلك المصيبة وقالت: يا عمّ، أراك تعطف عليَّ عطفك على الأيتام أفأصيب أبي مسلم؟

(عاشوري):

يعمي لاحت ابوجهك علامه آه آه على راسي امسحت قلي علامه
يعمي هالسجيه اويا اليتامه آه آه أظن بيي قضى ويتمني البين

فقال لها الحسين (ع): يا بنيّة لئِن أُصيبَ أبوك فأنا أبوك وبناتي أخواتك.

(نعي):

سمع ونها الحسين وحن عليها وغدا ينادي يزينب سكتيها
يخويه قطعت قلبي بحكيها يتيمة واليتم عالطفل يعظم

أقول: سيّدي أبا عبد الله حميدة يتيمة واحدة، من السهلِ على الحوراءِ زينب مواساتها وإسكاتها، ولكن ما حال الحوراء زينب بعد استشهادك وقد تكفَّلت بالثكالى واليتامى؟

(نعي):

خويــه أنــا اتمرمــرت والله بيتامــاك	يحســين آنــا مــالي حيــل فرقــاك
يحســين إحنــه بهــذا الوقــت ردنــاك	يحــســـــين والله حيـــــرتني
أنـــا حرمـــة بيتـــامى كلفتنـــي	جــا لــيش يــبن امــي جبتنــي

وبديــار غربــة ضيعتنــي

(تخميس):

لــم يــبكها عــدم الوثــوق بعمِّهــا	كــلا ولا الــوجد الــمبرِّح فيهــا
لكــنها تــبكي مــخافة أنــها	تُــمسي يــتيمة عــمِّها وأبــيها

يالله نَسألُكَ ونُقسِمُ عليكَ ببابِ الحوائجِ إليكَ سفير الحسين وابن عمه مسلم بن عقيل، فَرِّج عنّا، ونفِّس غمَّنا، واغفر ذنبنا، وأحسن عاقبة أمرنا، وتقبل أعمالنا، وارحم موتانا، وشافِ مرضانا، وأقضِ حوائجنا، بحق مسلم بن عقيل، وأرزقنا شفاعة محمد وآل محمد.